شرح رسالة

الأمر بلزوم جماعة المسلمين

فضيلة الشيخ الدكتور

محمد بن هادي المدخلي

miraath.net

ميراث الأنبياء

قام بها فريق التفريغ بموقع ميراث الأنبياء

Miraath.Net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسرّ موقع ميراث الأنبياء أن يُقدم لكم تسجيلًا لدرسٍ في قراءةٍ لكتاب:

دُرُوسٌ لِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ وَأَئِمَّتِهِمْ

للدكتور عبد السلام بن برجس

-رحمهُ الله-

ألقاهُ

فَضِيلة الشيخ الدُكتور: مُحمد بن هَادي بن عَلي المدخلي

-حفظهُ الله تعالى-

ضمن فعاليات دورة الملك سليمان العَلوي الشرعية الثانية التي أُقيمت بمدينة النَاظور بالمملكة المغربيةِ في شَهرِ جُمادى الأُولى عام خمسة وثلاثين وأربعمائة وألف هِجرية.

نَسألُ اللَّه -سُبحانه وتَعالى- أن ينفع به الجميع.

الدرس الأول

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارك عَلى رَسُول الله وَعلى صَحبهِ ومن والاه، أمَّا بَعْدُ:

المتن:

وقد فرض الشارع الحكيم على كلِّ مؤمن بالله واليوم الآخر أن يلزم الجماعة فينتظم في سلكها ويستظلّ بظلِّها، ويركن إلى أهلها، فما أحبَّه لنفسه أحبَّه لهم، وما كرِهه لها كرهه لهم، يسوئُهُ ما يسوئُهم، ويسرُّه ما يسرُّهم، ناصح لهم، محامٍ عنهم، سِلمًا لأحبابهم، حَربًا على أعدائهم، هم جسد واحد وهو قطعة منه.

وفي مقابل هذا التأكيد من الشارع الحكيم بلزوم الجماعة جاء النهيُ الأكيد أيضًا من الشارع الحكيم عن مفارقتها وشقِّ عصاها ومخالفة كلمتها، والافتيات عليها، وما هذا الاهتمام من الشارع بأمر الجماعة إلا لبالغ أهميَّتها، وكبير قدرها، وعظيم نفعها، إذ هي رابطة المسلمين، قوَّتهم من قوَّتها، وضعفهم من ضعفها، فيها يعبد المسلم ربّه آمنًا، ويدعو إليه – تعالى- مؤيّدًا، المستضعف في كنفها قويٌّ، والمظلوم في ظلِّها منصورٌ، والعاجزَ في محيطها مُعانٌ، ونظرًا لأهمية الحديث عن موضوع الجماعة والتذكير بفضلها والتحذير من مفارقتها استعنت الله – تعالى- في إعداد هذه الرسالة الوجيزة بيانًا للحقِّ ونُصحًا للخلق، وقد اجتهدت في اختصارها وتحريرها رجاء أن يعم نفعها، ويكثر المستفيدون منها، أسأل الله – تعالى- أن يجعلها لوجهِهِ الكريم خالصةً، ولسنة نبينه -صلى الله عليه وعلى آله و سلم- موافقةً، وما توفيقي إلا بالله العظيم.

وصلى الله على نبينا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبه أجمعين.

الشرح:

الحَمدُ لله رَبِّ العَالمين وَالعَاقِبةُ لِلمُتَقين، وأشْهَدُ أنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحدَه لَا شَرِيكَ لَه إله الأوَّلين والآخِرين، وقَيُّوم السَمَوات والأرَضين.

وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ،صَلَّى الله عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وأتباعهِ بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فَيَا مَعشَر الإخوة الأحِبة؛ سَمِعتُم عُنوانَ هَذا الكِتاب اسمهُ كما قرأهُ علينا أخونا واسمهُ دالٌ على موضوعهِ، وإنهُ لموضوعٌ مهمٌ جدًا نحتاجُ إليه نحنُ الحاضرين ويحتاجُ إليهِ كُل مُسلمٍ رضيَ بالله ربًا، وبالإسلامِ دينًا، وبمُحَمَّدٍ -صَلّى الله عَلَيْهِ وَسَلمَ -نبيًّا ورسولًا، ذلكم الموضوع هو الموضوع الخطير الذي كَم وكَم وكَم جرَّ من الويلات على الناسِ جهلهُ، أو مُخالفتهُ، إنهُ موضوعُ الأمر بلزومِ جماعة المسلمين وإمام المسلمين الذي اجتمعت عليهِ الجماعة، والتحذير من مفارقةِ إمام المسلمين الذي اجتمعت عليهِ جماعة المسلمين، والتحذير من مفارقة جماعة المسلمين إذا اجتمعوا ولم يكن لهم إمامٌ .

والكَاتبُ في هَذا العلَّامةُ الشَّاب الفَقيه الدَاعية إلى الله السَّلفي المُجاهد في هذا الجانب بنفسهِ ومالهِ وقلمهِ، أسأل الله -جلَّ وَعَلا- أن لا يحرمهُ ذلك، هو فضيلةُ أخي الشيخ الدكتور: **«عبدالسلام بن برجس بن ناصر العبد الكريم التميمي»** -رحمهُ الله تعالى-، لقد كانَ عالِمًا ذكيًّا مُفرِط الذكاء، وفقيهًا أيَّما فقيه، حادَّ الذهن، وَقَّادًا حاضر البديهة، في غاية الذكاء لا يُضْحكُ عليهِ -رحمة الله تعالى عليهِ-، قد كان من المُجاهدين في هذه الفترة القريبة في نُصرةِ الدعوة إلى الله على المنهج الذي جاءنا بهِ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولما رأى الحاجةَ ماسَّةً كَتَبَ هذه الرسالة التي هي بحقٍّ من أحسن ما كُتِب في هذا الجانب، وأجمع ما كُتِب على وجازتها، واختصارها -فرحمهُ الله تعالى وغفرَ له-، وثبتنا وإياكم على الحق والهدى حتى نلقاه:

أيا عينُ جودي بالدموع غزيرةً ۞۞ على الصاحبِ الخلِّ الصفيّ ابنِ برجسِ

رحمة الله عليه.

سأبكيكَ يا عبد السلام وإن أُمُتْ ۞۞ سيبكيك شِعري في مِرادي وأطرُسي
سأبكيك يا عبد السلام كما بكت ۞۞ خَناسٌ أخاها في صباحٍ وعسعسِ
فقَا اللهُ عينًا لا تجود بدمعها ۞۞ إذا ما ذكرتم يا بهاء المجالسِ
فقد أظلمت أرضُ الرياض بُعَيْدَكم ۞۞ عليَّ فضوءُ الصُّبحِ فيها كحُندُسِ
وما عاد يحلو لي المقامُ بها ولو ۞۞ أتتني كبدرِ التمِّ في حُسنِ ملبَسِ

هذا شيءٌ من قصيدةٍ قُلتها فيه -رحمهُ الله- يومَ وفاتهِ إذ فُجعنا بهِ -رحمةُ الله عليهِ- وكلُّ يومٍ نفجعُ بواحدٍ من أحبتنا والأعزة علينا وعلى أهل الإسلام عامةً إنهم العلماء فبموتهم تحصلُ الثُّلمة التي لا تُسد، ونسأل الله -جلَّ وعلا- أن يثبتنا وإياكم على الهدى وعلى الإسلامِ والسُّنةِ حتى نلقاه.

كتبَ هذا الكتاب وخلَّفهُ من بعده فهو -إن شاء الله- من العمل الصالح الذي يصلُهُ أجرهُ، وهو العلم النافع الذي لا ينقطع أجره ما قُرِئَ لصاحبه في كتاب، هذا الكتاب نحن اليوم أيضًا بحاجةٍ إلى أن نتدارس فيه وفي أمثاله، وهو كما قلت لكم فريدٌ في بابه مع تحقيقٍ ووجازةٍ واختصار، فكم ممن كتب في هذا الباب لكنه لم يصل إلى بعض ما وصل إليه الشيخ -رحمه الله- في هذه الرسالة!

فنحن في هذا الوقت الذي يسمونه للأسف الربيع العربي، ونحن ما رأينا ربيعًا وإنما رأينا دماءً تُسال، ورأينا خرابًا ودمارًا، ورأينا هلاكًا ونارًا في البلدان العربية والإسلامية التي حلَّ بها هذا المُصاب، ولكن أعداء الدين يسمونه بالربيع العربي، الربيع هو الذي تنشرح فيه النفس

وتفرح لرؤيته وتستجم إذا خرجت إلى بريَّته؛ لأنها قد لبست أنواع الأزهار، وغردت فيها الأطيار، ونزلت بها الأمطار فأصبحت بهجةً للنفوس، أما هذا فليس بربيع، فإنما هو هلاك، فنحن بحاجة إلى أن نقرأ في مثل هذا الكتاب، في هذه الآونة التي نعيشها وترونها وتسمعون بها في العالم الإسلامي.

المتن:

قال -رحمه الله تعالى-: الأدلة من القرآن على وجوب لزوم الجماعة.

الشرح:

الأدلة من القرآن على لزوم الجماعة، جماعة المسلمين فاستمعوا لها يا جماعة وأنصتوا.

المتن:

قال -رحمه الله تعالى-: انعقد اجماع أهل السُّنة والجماعة على وجوب لزوم الجماعة، وتحريم الخروج عليها، وأن لزومها فضيلة ومفارقتها رذيلة.

الشرح:

أولًا: يقول -رحمه الله-: انعقد الإجماع، الإجماع قائم على لزوم الجماعة، وتحريم الخروج عليها، أهل السُنة والجماعة قاطبةً ابتداءً من أصحاب رَسُول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى يومنا هذا كلهم مُجْمِعون على وجوب لزوم الجماعة، ومجمعون على تحريم الخروج عليها، ولم يخالف في ذلك إلا الخوارج والروافض، فإن الخوارج خالفوا؛ لأنه لابد أن يكون الإمام عندهم سليمًا من المعاصي، فإذا وقعت منه معصية فحصلت منه كبيرة فقد كَفَر، وحينئذ يجب الخروج عليه، فلا يرون السمع والطاعة له؛ لأن مرتكب الكبيرة عندهم كافر، والروافض يشترطون بأن

يكون الإمام معصومًا من الذنوب، إذا لم يكن معصومًا فلا يصلح للإمامة عندهم، فترى هؤلاء وهؤلاء الخروج على الأئمة من دينهم ودأبهم، وديدنهم، ومذهبهم، فأول الخوارج خروجًا من خرج على عثمان -رضي الله عنه- [وقد هيَّأ الله لهم الخليفة الراشد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فقام، قد هيَّأ الله لهم علي بن أبي طالب، كيف هذا؟ هذا سبق ظاهر الغلط] هيَّأ الله لهم علي بن أبي طالبٍ خاصف النعل الذي قال فيه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ هَذَا الْقُرْآنِ، كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ».

النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قاتل على تنزيل هذا القرآن يعني على إلزام الناس به، كما قال -جلَّ وعلا- له في سورة الفرقان: ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ٥٢﴾ الفرقان: ٥٢، فجاهد -صلوات الله وسلامه عليه- حتى أسلم الناس وآمنوا بهذا الكتاب، عملوا بهِ قرءُوه عرفوا ما فيه، عليًّا -رضي الله عنه- قاتل على تأويلهِ ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، فالخوارج أخذوا: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ المائدة: ٤٤ والفاسقون والظالمون هذهِ تركوها وكفَّروا بذلك، فقاتلهم عليٌّ -رضي الله عنه-، بل الخوارج كفَّروا عليًّا -رضي الله عنه- وآل بيتهِ -رضي الله عنهم- وقالوا: أنت حكَّمت الرجال، والله يقول: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ المائدة: ٤٤، وكان ما كان من أمرهِ معهم -رضي الله عنه-، وحاول وجاهد لكنه لم يستطع، ناظر ابْنُ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- ابن عم علي -رضي الله عنه- ناظر طائفة منهم ورجع بثلة، قرابة ستة آلاف رجعوا معه، كتب الله لهم السلامة فرجعوا بعد أن حذَّروا منه وقالوا: لا تجادلوه فإنه

من قريش والله –جلَّ وعلا- يقول: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ الزخرف: ٥٨، وهذهِ حيلة العاجز يعرفون أن ابْنَ عَبَّاسٍ –رضي الله عنهما- سيهزمهم بالحجة والبيان.

وفعلًا ناظرهم وكتب الله لمن كتب لهم التوبة منهم فرجعوا معه وبقي من بقي، ثم استعان بالله عليٌّ –رضي الله عنه- على قتالهم فقاتلهم فهذا علي، وابن عمر –رضي الله عنهما- لما كان ما كان يوم الحَرَّة جاء إلى أصحابِ هذا الاجتماع الذين دعوا إلى الخروج على يزيد، فقال له رئيسهم عَبْدُ الله بْنُ الْمُطِيع: ادفعوا لأبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وِسَادَةً، فقال: ما جئتك لذلك، ولكن جِئْتُكَ أُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سمعت رَسُولَ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «مَنْ خَرَجَ عَن الجَماعَة وَخَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ» ثُمَّ انصرف.

فهذا حال أصحاب رَسُولِ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ التحذير من الخروج على الجماعة، والأمر بلزوم الجماعة؛ لأنهم يعلمون الشـرَّ المترتب على الخروج على جماعة المسلمين «مَنْ خَرَجَ عَن الطاعة وَفَارقَ الجماعة فقد خلع رِبْقَة الإسلام من عنقه» يقوله النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فقد انعقد إجماع أهل السُّنَّة على ذلك، ومضى على هذا التابعون، فأنكر من أنكر على من قاموا على الحجاج كالحسن وابن سيرين ومن معهم، أنكروا عليهم غاية الإنكار، وقالوا لهم: "اصْبِروا حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، أو يُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ"، قال الحسن: "لو أنكم تضرعتم إلى الله بالدعاء لأوشك أن يرفع الله -تبارك وتعالى- عنكم، ولكنكم تفزعون إلى السيف فيكلكم الله إليه"

يعني تخرجون على الولاة، على الحكام، تفارقون جماعة المسلمين فيكلكم الله -جلَّ وَعلا- إلى هذا السيف الذي لا تنتفعون به، بل يعود بعد ذلك قتلًا لكم وعليكم، وهكذا في عصر الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- في قصة الفتنة في القول بخلق القرآن، اجتمع عليه فقهاء بغداد وقالوا: **"يا أبا عبد الله، إن الأمر قد فشا وتفاقم ووصل إلى ما ترى، وإنه لا سمع لهذا الرجل علينا ولا طاعة"**، فقال -رضي الله عنه-: **"مَه، اصبروا هذا خلاف الآثار، إنا نجد في الآثار، لا ما أقاموا فيكم الصلاة"**، أو قال: **"لا ما صلوا"**، فقالوا: **"يا أبا عبد الله، ألا ترى هذه الفتنة؟ قال: هذه فتنة خاصة يوشك أن يرفعها الله -جلَّ وَعلا-، ثم لم يزل يقول: الله الله في دماء المسلمين، كُفُّوا دماء المسلمين، هذا خلاف الآثار، إنا نجد في الآثار ما صلّوا فلا"**، فكان يأمرهم بالصبر على جَوْر السلطان المسلم، وبالصبر على جَوْر السلطان الذي تأول، فحصل منه ما حصل الذي أكره الناس على القول بخلق القرآن، وسِجْنِهم في ذلك وتعذيبه لهم، وعدم افتداء أسرى المسلمين ممن يقول بأن القرآن كلام الله منزلٌ غير مخلوق، وعدم صرف الجِرايات من بيت المال لهم، فكان أحمد -رحمه الله- مع هذا كله يقول: **"هذه فتنة خاصة يوشك أن يرفعها الله"** وكان يقول: **"إياكُم وَدِماء المُسلِمين، اللهَ اللهَ في دِماء المُسلمين، لا تَسفِكُوا دِماءَ المُسلِمين"**، ويقول لهم: **"هَذا خِلاف الآثار، إنا نَجِد في الآثار ما صَلّوا فَلا"**، فَهذا إِجماع أهل السُنة مِن لَدُن صَحابة رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلى يَومنا هَذا، فَقد انعَقد إجماعهم على وجوبِ لزوم الجَماعة وتحريم الخروج عليها -كما سمعتم في هذه النصوص-، [.....] خير وفضل، ومفارقتها رذيلة وشر، تسفك الدماء، تنتهك الأعراض، تُقطع السُّبل، تُنهب البيوت والمتاجر، تتعطل الأسواق، تشح الأرزاق، يتسلط العدو على الثغور، لا تقام الحدود الشرعية،

لا تقام الجُمَع، ولا تقام الأعياد؛ لأنه في هذه المجامع العامة يخاف أن يتسلط هؤلاء المجرمين على أهل الإسلام، وبوجود الأئمة ينتظم هذا كله، تَأمَن السُّبل للحج وللأسفار، يأمن الناس على أموالهم في بيوتهم ومتاجرهم، يأمنون على أعراضهم لا يعتدى عليهم، يأمنون على أنفسهم في الأسفار، تُقام الحدود الشرعية تُنفَذ في المجرمين، تقام الجُمَع والأعياد فيصلى بالناس فيها في هذه البلدان، والحاصل الخير كله في هذا والشر كله في ضده وعكسه -نسأل الله العافية والسلامة-.

فيجب على المسلم أن يلزم جماعة المسلمين وإمامهم، وأن يَحْذر من مفارقتهم فيقع في الشر الذي يجرُّ إلى شرور.

إنَّ الخِلافَة حَبل الله فاعتصموا ۞۞ منه بعروته الوثقى لمن دانَ

كم يرفع الله بالسلطان معضلة ۞۞ في ديننا رحمة منه ودنيانا

لولا الخلافة لم تأمن لنا سبل ۞۞ وكان أضعفنا نهبا لأقوانا

كما يقوله عبد الله بن المبارك ذلكم الإمام الفذ العالم العابد الزاهد الورع المجاهد -رضي الله تعالى عنه-.

فهل عبد الله بن المبارك مداهن؟ ما رأيكم؟

وفي الوقت نفسه نجد بعض التكفيرين الذين يستدلون بأن العلماء مجاهدون هؤلاء هم منهم عبد الله بن المبارك، نحن نقول صدقتم مجاهدون منهم عبد الله بن المبارك، وليس وحده علماء الإسلام كثير الذين جاهدوا، لكن لماذا لا تقتدون أيضا به في الجانب الآخر؟!

لم هذه الصفحة ترونها، وهذه الصفحة تطوونها؟!!

فرقتم في القسمة بين متشابهين هل هذا عدل وعقل؟ لا والله!

فإذا كان السلفُ هؤلاء مُداهنين فنحن على طريقهم سائرون ليقولوا عنا ما قالوا، هؤلاء جواسيس نحن على طريقهم سائرون ليقولوا ما قالوا، هؤلاء عملاء نحن على طريقهم سائرون ليقولوا ما قالوا، وهكذا انتظام المسلمين تحت راية الإِمام تُؤمنهم وتصون أعراضهم ودماءهم وأموالهم، وأنا أذكر لكم دليلًا واحدًا حِسيًّا: أرأيتم لو أن في سوريا وإلا في العراق هل نجتمع هذا الاجتماع؟

أسألكم بالله الذي قال الحقَّ وأمر به وقام بالحق أمر السموات والأرض هل نستطيع أن نجتمع هذا الاجتماع؟

أجيبوا، يدخل واحد مفسد فيفجر هذا الجمع كله، لكن كيف اجتمعنا؟ اجتمعنا بعد رحمة الله وفضله علينا على كتاب الله وسُنة رَسُولِ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تحت ولاية أَمَّتَنَا.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية آثرًا عمن قبله -رحمه الله-: **"لا يصلح الناس إلا بإمام بَرًّا كان أو فاجرًا"** ولذلك قيل: **"سُلطانٌ غشوم خير من فتنةٍ تدوم"** أو ظلوم يعني إذا ظلم ذلك السلطان ظلمه منغمر في جانب الخير الذي يترتب على وجوده هذا كله في السلطان المسلم لا يأتِ آتٍ ويقول أنتم تُرَوِّجون لغير المسلمين، نحن لا نتكلم إلا عن أهل الإسلام مادمت تعترف بأنه لم يخرج عن دائرة الإسلام، على اعتقاد أهل السنة ليس اعتقاد الخوارج، فيجب السمع والطاعة له، يقول الحسن البصري -رحمه الله- في هؤلاء: **"والله لا يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا، والله إن السمع والطاعة لهم لغبطة،وإن الخروج عليهم لشرٌّ"**، ثم

قال: "هم يلون من أمورنا خمسة: الجمعة، والعيد، والحدود" يعني لإقامة الحدود الشرعية "والحج، والثغور، والله لا يستقيم الدين إلا بهم وإن في طاعتهم لغبطة وإن في الخروج عليهم لكفر" هذا كلام من؟!!

الحسن البصري ربيب أم سلمة أم المؤمنين -رضي الله عنها-، وتلميذ أنس -رضي الله عنهُ- ومن معه من أصحاب رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هذا مداهن؟!

أُولئكَ آبائي فجئني بمثلهم ۞۞ إذا جمعَتنا يا جريرُ المجامِع

هؤلاء هم أئمتنا وأسلافنا «السُّلْطَانُ ظِلُّ الله فِي الارْضِ، فَمَنْ أَكْرَمَهُ أَكْرَمَهُ اللهُ، وَمَنْ أَهَانَهُ أَهَانَهُ اللهُ» هذا ليسَ كلام محمد بن هادي هذا حديث رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصحبِهِ وَسَلَّمَ- الذي لا ينطقُ عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ النجم: ٤، من أكرم السلطان أكرمهُ الله، ومن أهانهُ أهانهُ الله، وجعلهُ الله ظِلًّا يقول فيهِ النبي: «ظِلُّ الله فِي الأَرْضِ» الناس يستظلون تحتهُ، أرأيت الخيمة المظلة كيف يجتمع الناس تحتها من الحر؟ هكذا السلطان يجتمع الناسُ ويستظلونَ بهِ من الشرِّ، يدفع الله بهم عنا الشرور، أنا وأنتم ننام ملء عيوننا، وهؤلاء السلاطين لا ينامونَ في الليل يفكرونَ ويخافونَ من أن يهجمَ برعيتهم، وبهم من يفسدُ عليهم فكيف لا يكرمون؟!

هذا حديث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وأيضًا الحديث الآخر ثلاثةٌ إجلالهم من إجلالِ الله يقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ الله إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ» ذي الشيبة المسلم الذي

شاب رأسهُ وَلحيتهُ في الإسلام يتقلب في الإسلام طورًا بعدَ طور، طفل، شاب، كهل، شيخ وهوَ على الإسلام، هذه المدة الطويلة ما توجب لهُ الاحترام عندكَ؟! سبحان الله! متى يحترم؟! شُف إجلالهُ من إجلال الله.

والثاني: «ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ».

الثالث: «وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ».

هذهِ نصوص رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فللسلاطين عندنا معاشر أهل السنة سلاطين الإسلام، حكام الإسلام، ملوك الإسلام لهم عندنا مكانة رفيعة عالية، نحن نتقرب إلى الله بالسمع والطاعة لهم في المعروف، على المرء المسلم السمع والطاعة ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة، ولكن انظروا الطريق: «وَلا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةِ اللهِ» الخوارج إذا أمروا بمعصية يقولون:" لا سمع، ولا طاعة" وينزع يدهُ من الطاعة، نحنُ لا، نقول: "لا سمع ولا طاعة في هذا الخطأ" لكن نحنُ في الوقت نفسهِ نؤدي لهم حقهم؛ لأننا نعلمُ أن بالسمع والطاعة لهم ولزوم الجماعة تنتظم أمور الإسلام والمسلمين فتنتعش أمور الدين والدنيا.

أما الدين فيعمُ الخير كلهُ؛ تقوم المدارس وحِلق العِلم، وينتشر العِلم ويرتفع الجهل، ويظهر الدعاة إلى الله -تباركَ وتعالى- فيعلمونَ الناس الخير، ويعلمونَ الناس أحكام الدين عبادات والمعاملات وأخلاق وآداب هذا في دين الله.

في الدنيا تقوم أسواقهم وتدر أرزاقهم، في البلدان تحصن الحدود من العدو، وتنفد الحدود السارق تقطع يدهُ والزاني يجلد أو يرجم وهكذا، فيأمن الناس فيحصل الخير العظيم

وينقطع الشَّر العظيم، وانظروا الآن حالَ بعض من كان بالأمس يشجع ما يسمونهُ بالربيع العربي هذا البلاء الذي حل، الآن كان حالهُ كذلك كما كان في الأول؟ لا، يتمنى الأيام الأولى

كل يومٍ بكيتُ منهُ فلما ۞۞ صرتُ في غيرهِ بكيتُ عليهِ

فلأجلِ هذا وأمثالهِ نحنُ نحاول أن نقرأ في هذهِ الرسالة العظيمة ونسمع هذا الكلام الذي سمعتموهُ والمعذرة وإنْ أطلتُ في هذهِ المقدمة فالمقام يقتضيها وإن شاء الله لا نطيلُ فيما يأتي.

هذا أيضًا طلبٌ آخر أظن والله لا أدري أنا سأطرحهُ -لكني أرى الإخوة في الخارج يطلبونَ من إخوانهم التفسيح لهم-، أظن أن الوضع قد وصل إلَّا أن تكونوا أمامي ترون شيئًا لا أراه، فعلى كلِّ حال انعقد إجماع أهل السُنة كما سمعتموه عصرًا بعد عصر على:

وجوب لزوم الجماعة هذا الأول.

وتحريم الخروج عليها هذا الثاني.

وانعقد الإجماع على أن لزومها فضلٌ وفضيلة ومفارقتها شرٌ ورذيلة خلاف الآثار.

المتن:

قالَ -رحمه الله تعالى-: وقد تواترت الأدلة من الكتاب والسنة على ذلك، وجاءت الآثار الكثيرة قاضيةً بذلك أيضًا.

الشرح:

إذًا الكتاب والسنة والإجماع يعني الأدلة الثلاثة، والقياس إنما يُصَار إليهِ عند الضرورة ونحنُ لا ضرورة لا نحتاج إليهِ الآن، معنا الكتاب ومعنا السنة ومعنا الإجماع هذه المتفق عليها

الأدلة الثلاثة متفق عليها عند الأصوليين، كلها دلَّت على هذا الأمر.

أدلَّةُ الشرعِ الشَّريفِ أربعَة ۞۞ مُحْكَمُ آيٍ سُنَّةٌ متبعَة

والثالثُ الإجماع حيث ينجلي ۞۞ والرّابعُ القياس واخصص الجلي

لا رأي في الدِّين ولا استحسانا ۞۞ فالله قد أكمله بيانا

فالشِّركُ في التَّشريع منه ينفجر ۞۞ شركُ العباد بالإله المقتدر

فهذهِ الثلاثة الأدلة الأولى كلها منعقدة صريحة مُبينة لهذا؛ الكتاب والسنة والإجماع، فمن فارقَ الجماعة فقد خالفَ الكتاب والسُّنة والإجماع، من فارقَ الجماعة وخرجَ عن الطاعة فقد خالفَ الكتاب والسُّنة والإجماع، وليقولوا عنا ما يشاءون فلسنا نبالي بهم، نعم.

المتن:

قال -رحمه الله-: وقد تواترت الأدلة من الكتاب السنة على ذلك وجاءت الآثار الكثيرة قاضيةً بذلك أيضًا قال الله -تعالى-: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ آل عمران: ١٠٣ الآية، قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي قال: حدثنا عمرو بن علي الصيرفي قال: حدثني عبد رب بن بارق الحنفي وأثنى عليهِ خيرًا قال: حدثني سِمَاك بن الوليد الحنفي أنه لَقِي ابن عباس بالمدينة فقال: ما يقول في سلطانٍ علينا يظلموننا ويشتموننا ويعتدون علينا في صدقاتنا ألا نمنعهم؟ قال ابن عباس: لا، أعطهم يا حنفي، وقال: يا حنفي الجماعة، الجماعة، إنما هلكت الأمم الخالية بتفرقها أما سمعت الله -عزَّ وَجلَّ- يقول: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ آل عمران: ١٠٣، قالَ ابن عطية في تفسيره: واختلفت عبارة المفسرين في المراد بهذهِ الآية ﴿ بِحَبْلِ ٱللَّهِ ﴾ آل عمران: ١٠٣ فقال ابن مسعود: حَبْل الله الجماعة، وروى أنس بن مالك عن النّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلهِ وَسَلَّمَ- أنهُ قال: «إنّ بَنِي إسْرَائِيلَ افْتَرَقُوا عَلَى إحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإنّ أُمّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النّارِ،

إِلَّا وَاحِدَةً» فَقال: فَقيلَ يا رَسول الله، وما هذه الواحِدة؟ فقال: فقبض يدهُ وقال: «الْجَمَاعَةُ» وقرأ ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ آل عمران: ١٠٣

وقال ابن مسعودٍ في خُطبتِه: «عليكُم جميعًا بالطاعة والجماعة، فإنها حبلُ الله الذي أمرَ به»، وقال قتادة -رحمه الله-....

الشرح:

هذه النصُوص مرفُوعة من كتابِ الله، ومن سُنة رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مرفوعة، وعن بعضِ الصحابةِ موقوفة، كُلُّها دالَّة على تفسيرِ قولِهِ -تعالى-: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ آل عمران: ١٠٣، فالاعتصام هو الاجتِماع على الشيء، والمُرادُ به هنا الالتِزام بالشَّيء، وساق المُصنِّفُ -رحمة الله عليهِ- حديث ابن عباس مع الحنفي الذي سأله سِماكُ بن الوليد، حينما قال له: "ما يقولُ ابن عباس في سُلطانٍ علينا، يظلِمُوننا ويشتِمُوننا ويعتدُونَ علينا في صدقاتِنا ألا نمنعُهُم؟"، يعني تمنعُهُم العطاء والصدقات، فقال له -رضي الله عنه-: "لا، يا حَنفي الجماعة الجماعة"، ففسَّر الجماعة بِمَ؟ بالسُّلطان، وهذا كما تقدَّم معنا ما قاله ابن المُبارك في الأبيات التي سمِعتُمُوها:

إِنَّ الْجَمَاعَةَ حَبْلُ اللَّهِ فَاعْتَصِمُوا ۞۞ مِنْهُ بِعُرْوَتِهِ الْوُثْقَى لِمَنْ دَانَا

كم يرفع الله بالسلطان معضلة ۞۞ في ديننا رحمة منه ودنيانا

لولا الخلافة لم تأمن لنا سبل ۞۞ وكان أضعفنا نهبا لأقوانا

فابن عباس فسَّرها هنا، فسَّر حبل الله بِم؟ بالجماعة -رضي الله تعالى عنه- قال: "الجماعة

الجماعة". وهناك ابن المُبارك فسَّرها بالسُّلطان، فالمرادُ بهم الجماعة الذين انتظَمهم سلطانٌ وإمام، سيأتي معنا -إن شاء الله-.

ثم نقل من تفسير ابن عطيةَ الأندلُسي -رحمه الله -، المُحَرَّر الوجيز المعروف باسم «المُحرَّر الوجيز في تفسير الكتابِ العزيز»، وهو من الكُتُبِ الجميلة جدًّا، كما قال عنه شيخُ الإسلام ابن تيمية، قد سُئِل عنهُ وعن طائفة من التفاسير معه، فذكرَها جميعًا كُل واحِدٍ بِما ينبغي له، ثم قال: **"وتفسيرُ ابنُ عطِيَّة من أنظفِها، وأقلِّها أحاديث موضُوعة، وإسرائيليات، أو كما قال -رحمه الله تعالى-"** فنقلَ من تفسير ابن عطية -رحمه الله- الأندلُسي قول ابن مسعودٍ: **"حبلُ الله الجماعة"** يعني أن تكُون مع جماعة فأنت مُعتصِمٌ بحبلِ الله -تبارك وتعالى- هذا كلامُ من؟ كلامُ ابن مسعود، وقبله كلام ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- الذي ساقه المُصنِّف -رحمه الله- من تفسير ابن أبي حاتم مثلهِ، فهذا ابن عبَّاس وهذا ابن مسعود -رضي الله عنهما- يُفسِّرانِ حبل الله بماذا؟ بلُزوم الجماعة، ثم روى في ذلك حديثًا مرفوعًا وفيه مقال، حديثُ أنس في إسنادِهِ ضعف -رضي الله عنه- عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً» قال: فقيل: يا رسول الله، ما الواحدة؟ ما هذه الواحِدة؟ قال: فقبض يده ثم قال: «الْجَمَاعَةُ» وقرأ ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ ﴾ هكذا، قبض يده، قبضها -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كانت هكذا، جاء فقبضها -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقال: «الْجَمَاعَةُ»، ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ ﴾ فإن الاعتِصام هو التَّمسُّك، ﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ فهذا أيضًا وإن كان في إسنادِهِ ضعف عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالطريق التي ساقها المُصنِّف -رحمه الله-

إلا أن الأحاديث الأُخرى تشهد لها، والآية قد فسَّرها أصحابُ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، الذين روى عنهم التفسير فى هذا الباب وهم أعرف بكتاب الله -تبارك وتعالى-، وابن مسعود أيضًا يقول: "عليكم جميعًا بالطاعة والجماعة فإنها حبل الله الذى أمر به" صريح، صريح ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ ﴾ ، قال: عليكم جميعًا بالطاعة والجماعة فإنها حبل الله الذى أمر به ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ ﴾ فالسمع والطاعة، ولزوم الجماعة؛ جماعة المسلمين، والسمع والطاعة لسلاطين المسلمين هذا هو الاعتصام بحبل الله.

المتن:

قالَ -رحمهُ اللهُ تعالى-: وقال قتادة -رحمه الله-: "حبل الله الذى أمر بالاعتصام به هو القرآن" ، وقال السُّدى: "حبل الله كتاب الله" ، وقالهُ أيضًا ابن مسعود، والضحاك وقيلَ غير هذا مما كله قريب من بعض.

الشرح:

يعنى هذا التفسير من باب التفسير الذى يقال فيه هذا الاختلاف اختلاف تنوع ولا تضاد؟ تنوُّع، حبل الله القرآن إذا تمسَّكنا بالقرآن فإنه يأمرنا بالسمع والطاعة إلا أنه يحذرنا من الفرقة ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ ﴾ آل عمران: ١٠٥ - ١٠٦ الآيات.

الشاهد: القرآن إذا اعتصمتنا به فإنا سنجد فيه الأمر بلزوم الجماعة والنهى عن الفرقة، فحينئذٍ من قرأ القرآن وعمل بما فيه فإنه قد اعتصم بحبل الله -سُبحانه وتعالى- وهكذا كتاب

الله، كتاب الله هو القرآن فهذه اللفظة هى تلك، فمن قال:"اعتصموا بالقرآن: تمسكوا به" ومن تمسك بالقرآن لن يخرج عن جماعة المسلمين؛ لأنهُ سيطلب تفسير هذا القرآن بما جاء فى القرآن نفسه فى المواضع الآخر، وبما جاء عن رَسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وبما جاء عن الصحابة -رضى الله عنهم-، فحينئذٍ سيكون معتصمًا بكتاب الله -جلَّ وَعلا- ويكون ملتزمًا بهذا الحبل الذى قال الله: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ آل عمران: ١٠٣.

المتن:

قالَ -رحمه الله تعالى-: وقوله: ﴿جَمِيعًا﴾ حال من الضمير فى قوله: واعتصموا، فالمعنى: كونوا فى اعتصامكم مجتمعين.

الشرح:

إن قوله -جل وعلا-: ﴿جَمِيعًا﴾ هذه حال، حالٌ لهؤلاء المجتمعين الذين جاءوا فى الضمير ينتظمهم الضمير،﴿ وَٱعْتَصِمُواْ ﴾ هؤلاء الجماعة المخاطبين بقوله:﴿ وَٱعْتَصِمُواْ ﴾ ثم قال فيهم ﴿ جَمِيعًا ﴾ هذا إشارة إلى الاجتماع حالٌ من الضمير أى: كونوا فى حالة اجتماعكم معتصمين فنحن معتصمون جميعًا بحبل الله، أما أن يأخذ هذا مكان وهذا مكان وهذا يفارق هذا ما اعتصم فلينظر للاجتماع الذى عليه جماعة المسلمين وليلزمه، ففى قوله: ﴿جَمِيعًا﴾ تنبيه على الاجتماع.

المتن:

قال -رحمه الله تعالى-: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ يريد التفرق الذى لا يتأتى معهُ الائتلاف على الجهاد وحماية الدين وكلمة الله وهذا هو الافتراق بالفتن والافتراق فى العقائد.

الشرح:

نعم صحيح هذا هو المراد ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ فيراد به اختلاف التضاد، أصل هذا غير أصل هذا لا يمكن أن نجتمع أنا ومن يرى أن الصحابة ارتدوا جميعًا أو جلهم، لا يمكن أن نجتمع أنا وإياه كيف نجتمع؟ نَقَلة الدين إلينا هم الصحابة، فإذا كانوا مرتدين كيف يُوثق بنقل القرآن؟!! أليس كذلك؟ من نقل القرآن إلينا؟ نقل القرآن إلينا الصحابة، فإذا كانوا كُفارا -رضي الله عنهم- مرتدين كيف نثق بنقلهم؟!!

ولذلك فطن أبو حاتم مع أبي زرعة -رحمهم الله- فطنوا لهذا قال: **"إنما أراد هؤلاء أن يجرحوا شهودنا"**، إنما نقل إلينا القرآن من؟ الصحابة، هؤلاء شهودنا وإنما أراد هؤلاء أن يجرحوا شهودنا بالطعن فيهم بأنهم كفروا جلهم أو كلهم أو فسقوا كلهم أو جلهم قال: **"والطعن بمن طعن بهم أولى وهو زنديق"** الطعن في الصحابة زندقة؛ لأنها هدم للإسلام، الذين نقلوا الإسلام إلينا أصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فإذا كانوا كفارا -رضي الله عنهم وأرضاهم- أو فساقًا كلهم أو جلهم فلا يوثق حينئذ بنقلهم، وإنما أراد هؤلاء هذا المغزى فلذلك قال فيهم أئمة الهدى: **"الطعن بمن طعن بهم أولى وهو زنديق"** فالصحابة -رضي الله تعالى عنهم- هم الذين نقلوا لنا هذا الكتاب وهذا الدين فمن خالفنا في عدالتهم فخلافنا معه اختلاف تضادٍ، ما يمكن أن نجتمع معهم، ولذلك كان هؤلاء من الفرق الهالكة؛ الروافض، الخوارج من الفرق الهالكة؛ لأن أفعالهم دالة على ذلك، هل الله يختار لنبيه ليصحبوه أقوامًا بهذه المثابة؟! -معاذ الله- والله -جلَ وعلا- يُسطر في كتابه ما نسمعه يقول -جل وعلا- بأفصح

الكلام وأوّضحه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ التوبة: ١٠٠، فأخبرنا بأنه قد رضي عنهم -سبحانهُ وتعالى- وأنهُ قد أدخلهم الجنة، فهل الجنة من نصيب الكفار؟ هل الجنة من نصيب الكفار؟!!

هل يمكن أن يُثني الله على قوم ويقطع لهم بالجنة وهو يعلم أنهم سيكونون كُفارا؟! لا والله فإن قالو ا لا قلنا لهم: إذا خوصمتم، وإن قالوا نعم قلنا لهم: كفرتم؛ لأنكم وصفتم الله بالجهل، يعلم الآن ولا يعلم ما في غد، فهذا واضح جدًا، فمن كان على هذه المثابة فاختلافنا معه اختلاف تضادٍ لا يمكن أن نتفق معه، وهذا الذي جاء في هذه الآية من التفسيرات إنما هو اختلاف تنّوع لا اختلاف تضاد، فالافتراق الذي هو التفرق في الأصل، أصل الدين هذا هو المذموم «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً» وجاء في اللفظ الآخر هذه «الملّة»، «عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلا وَاحِدَةً، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَمَا هِيَ؟ قَالَ: الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» والرواية الأخرى «الْجَمَاعَةُ» هنا صَحَّت لفظة «الْجَمَاعَةُ» فتصلح أن تكون شاهدة لها في ذلك الحديث حديث أنس، ويكون حينئذ من قبيل الحسن لغيره.

فالشاهد أنَّ هذا الاختلاف الذي نهانا الله -جلَّ وعلا- عنه هو اختلاف التَّضاد، أما اختلاف التنوع الذي يحصل بين المُفسرين مثل هذا، أو خلاف الفقهاء مالك والشافعي وأحمد الشيخ وتلميذه وتلميذ تلميذه، أو هؤلاء مع أبي حنيفة، أو أحمد وأبو حنيفة مع مالك والشافعي، أو أحمد والشافعي وأبو حنيفة مع مالِك، أو أبو حنيفةَ ومالِك مع أحمد والشافعي،

أو أبوحنيفَةَ ومالِك والشافعي عكس أحمد، هذا كلُّه خلافٌ يسوغ، لأنَّهُ مردهُ إلى الاجتهاد، والمراد بالاجتهاد هنا الفقه في فهم النص، هل خصَّكم رَسُولُ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بشيء؟ حديث البخاري حديث أبي جُحيفة، لعلي -رضي الله عنه- قال: «قُلْتُ: لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْوَحْيِ إِلَّا مَا فِي كِتَابِ اللهِ، قَالَ: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا فَهْمًا يُعْطِيهِ اللهُ رَجُلًا فِي الْقُرْآنِ، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، قُلْتُ: وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: الْعَقْلُ وَفَكَاكُ الْأَسِيرِ، وأن لا يقتل مسلم بكافر»، العقل .... الدِّيات، سُمِّيت الدِّية عقلًا؛ لأن الإبل تُعقَل في مناخ أصحاب القتيل، أهل القتيل أولياء الدم، فتُساق الدِّية إليهم وتُعقل، قال الشَّاعر العربي:

إِنِّي وقَتْلي سُلَيْكًا ثُمّ أَعْقِلَه ۞۞ كالثورِ يُضْرَبُ لَمّا عافَتِ البَقَرُ

إِنِّي وقَتْلي سُلَيْكًا ثُمَّ أَعْقِلَهُ، يعني أدفعُ ديتهُ، كالثورِ يُضْرَبُ لَمَّا عافَتِ البَقَر، فقولهُ ثُمَّ أَعْقِلَهُ المراد به العقل الدية قال العقل وفكاك الأسير

إِنِّي وقَتْلي سُلَيْكًا ثُمّ أَعْقِلَه ۞۞ كالثورِ يُضْرَبُ لَمّا عافَتِ البَقَرُ

فالعقل الدِّيات، وفكاك الأسير شيء آخر، وألا يُقتل مسلمٌ بكافر، هذه التي في الصَّحيفة وغير ذلك ما في شيء إلا فهمًا آتاهُ الله عبدًا في كتابه، هذا الخلاف منشَؤُهُ من اختلاف النَّظر في الأدلة، بحسب ما منَّ الله -جل وعلا- من الفهوم على كل واحد، وكلُّ واحد مقصدُهُ الاستدلال بالدليل، وهذا فَهِم منه هذا، وهذا فَهِم منه هذا، فهذا ليس من اختلاف التَّضاد، إذْ كُلُّهم متفقون على اتباع رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، مالك والشَّافعي وأحمد وأبو حنيفة،

كُلُّهم متَّفقون على هذا، وكلُّهم اتفقت كلمتهم على أنَّهُ لا يجوز لأحدٍ أن يُقلِّدهم ما لم يعلم دليلهم، وأنّهم إذا جاء الحديث عن رسول الله بخلاف ما قال فليؤخذ بقول رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ويُترك ما قال هو، وأنَّا رجال نقول القول اليوم، ونرجع عنهُ غدًا، فلا يحلُّ لأحدٍ أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم دليلنا.

"عجبتُ لقومٍ عرفوا الإسناد وصِحَّته، يتركون الحديث ويذهبون إلى رأي سفيان" هذا قولُ أحمد، والذي قبله قول أبي حنيفة، والذي قبله قول الشَّافعي، وبعدهم جميعًا قول مالك -رحمه الله-: "ما منا إلا رادٌّ ومردودٌ عليه، إلا صاحب هذا القبر، كلٌّ يؤخذ من قولهِ ويُترك إلا صاحب هذا القبر". فهم مُتَّفقون على هذا الأصل، فاختلاف الفهوم في تفاسير النُّصوص، هذا بابٌ آخر ليس هو من اختلاف التَّضاد في هذا الباب من قبيلٍ ولا دبير.

المتن:

قال -رحمه الله تعالى-: وأمَّا الافتراق في مسائلِ الفروعِ والفقهِ فليس يدخُلُ في هذه الآية، انتهى كلامُ ابنِ عطية -رحمهُ الله تعالى-، قلتُ: اختلاف في تفسير قوله -تعالى-: ﴿بِحَبۡلِ ٱللَّهِ﴾ اختلاف تنوُّعٍ لا اختلاف تضاد، كما أشار إليه ابنُ عطية هنا، وابن عبد البرِّ وغيرهما من المُحقِّقين، وتفسيرُهُ بكتاب الله يجمعُ الأقوال الواردة كُلَّها".

الشرح:

كما قلت إذا أخذوا بكتاب الله فقد أخذوا بما جاء في كتاب الله، وفي سُنَّة رَسُولِ الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ومما جاء في كتاب الله الأمر بلزوم جماعة المسلمين وطاعة سلطان المسلمين ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾ آل عمران: ١٠٥ هذا دلالتهُ ايش؟ دلالتهُ الأمر

بالاجتماع، النهي عن الافتراق بالمنطوق، ودلالة الأمرُ بالاجتماع دلالة مفهوم، فدلالة المفهوم معروفةٌ عند الأصوليين وهي من أقوى أدلة الدِّلالات بعد دلالة المنطوق، وهي ثانية الدِّلالات، والدِّلالات مُتعددة، منها الضعيف ومنها القوي، أقواها دلالة المنطوق، ثمّ دلالة المفهوم، وأضعفها دلالة الاقتران وما بعدها، هذا مبحثهُ في علم الأصول.

المتن:

قال -رحمه الله تعالى-: وقد ذكر القرطبي في تفسيره قول من قال: إنَّ حبلَ الله هو القرآن، وقولَ من قال: هو الجماعة، ثم قال: والمعنى كُلُّهُ مُتقاربٌ مُتداخل، فإنَّ الله -تعالى- يأمر بالألفة، وينهى عن الفرقة، فإنّ الفرقة هلَكَة، والجماعة نجاة، انتهى.

الشرح:

صحيح الحمد لله، هذا حبرٌ من أحبار المسلمين يقول هذا القول، فمحمد بن هادي يأخذ بقوله، وأنتم يسعكم ما وسعنا ووسع من سبقنا، هذا القُرطبي الفقيه -رحمه الله تعالى- المُفسِّر الذي كتابهُ طبقت شهرتُهُ الآفاق يقول -رحمهُ الله تعالى-: "الأمرُ في هذا سهل، من قال إن حبل الله هو القرآن، وقول من قال حبل الله هو الجماعة، ثُمَّ قال: المعنى في هذا كلِّه مُتقارب مُتداخل، فَإِنَّ الله يَأمُرُ بِالألفَة -الذي سمعتم دليله في الآيات السابقات-، وَينهى عَن الفُرقة -كما ذم بني إسرائيل عليه- فَإِنَّ الفرقة هَلَكة، والجماعةُنجاة" صدق -رحمه الله-.

المتن:

قال -رحمه الله تعالى-: وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: "وقَد فُسِّرحَبلُه بِكِتابِه، وَبِدينه، وَبِالإسلام، وَبِالإخلاص، وَبأمرِه، وَبعهدِه، وَبطاعتِه، وَبالجماعة، وهذه كلُّها منقُولةٌ عَنِ الصَّحابَة والتابعين لهم بإحسان إلى يومِ الدين وكُلُّهاصَحيحةٌ، فإنَّ القُرآنَ يَأمُربِدينِ

الإسلام، وَذلكَ هُوَ عَهدهُ، وأمرهُ، وَطاعتُه، وَالاعتصامُ بِهِ، وَالاعتصامُ بِه جميعًا إنما يكونُ في الجَماعة، وَدينُ الإسلامِ حَقيقتُهُ الإخلاص لله " انتهى.

وبهذا يُعلم أنَّ أقوالَهم في تفسيرِ حبلِ الله ليست مُتضاربة، وإنَّما بعضُها يُكَمِّل بعضًا، حتى يتَّضِح مُرادُ الله –تعالى-، وأخرج ابن جريرالطبري في تفسيره عن قتادة -رحمه الله- أنَّه قال في قوله –تعالى-: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ آل عمران: ١٠٣، إن الله -عز وجل- قد كره لكُم الفُرقة، وقدَّم إليكم فيها وحذَّركُمُوها، ونهاكُم عنها، ورضِي لكم السَّمع والطَّاعة والألفة والجماعة، فارضَوا لأنفسكم ما رضِي الله لكم إن استطعتم، ولاقوة إلا بالله. انتهى.

الشرح:

رحمه الله، هذه التفاسيرمن هؤلاء الأئمة جميعًا؛ القرطبي، شيخ الإسلام ابن تيمية، وما أخرجه ابن جريرعن قتادة -رحمهم الله تعالى- كله يُبيِّنُون لنا أن هذا إنما هو من بابِ التنوُّع، أن تقول هذا مصباح، هذا يقول لا هذا لمبة، ويأتي آخريقول لاهذي كهرباء، كُلُّها ألفاظ والمعنى واحد، اختلفت الألفاظ والمُؤدَّى واحد، المعنى واحد.

الآن فرغَ من الأدلَّة التي أراد أن يَستدِلَّ بها وتفسِيرها من القرآن على لُزُوم الجماعة، وسمِعتُمُوه من كتاب الله -تبارك وتعالى- وتفاسيرالسلف من الصحابة، والتَّابعين، وأئمة التفسير، ومشايخ الإسلام.

المتن:

قالَ -رحمه الله تعالى-: الأدلة منَ السُّنة على وجوبِ لُزُوم الجماعة:

الدليل الأول: حديث أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- أن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: «إِنَّ اللهَ-تعالى- يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلا

تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالَ»، أخرجه مسلم في كتاب الأقضية من صحيحه من طريق جريرعن سُهيل عن أبيه عن أبي هريرة، وقد أخرجه مالك في الموطَّإ، وأحمد في المُسند.

قال: «وَأَنْ تُنَاصِحُوا لِمَنْ وَلاهُ اللهُ-عَزَّ وَجَلَّ- أَمْرَكُمْ» ولم يذكُر مالِك: «وَلا تَفَرَّقُوا» فعلى رواية مسلم.

-ولم يذكر مالك: «وَلا تَفَرَّقُوا» يعني لفظة زيادة «وَلا تَفَرَّقُوا»

ولم يذكُر مالِك: «وَلا تَفَرَّقُوا» فعلى رواية مسلم تكون الثلاثة مُرضِية

الأولى: أن تعبدوا الله.

والثانية: ألا تُشرِكُوا بِهِ شيئًا.

والثالثة: أن تعتصِموا بحبل الله جميعًا ولاتفرَّقوا.

الشرح:

والله هذا الضبط فيه نظر، اللفظ: «إِنَّ اللهَ-تعالى- يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثًا» فيكون حينئذٍ فعلى رواية مسلم تكونُ الثلاثة المَرضِيَّة، ماهو المُرضِية هذا الضبط غلط، تكونُ الثلاثة المَرضِيَّة، «إِنَّ اللهَ -تعالى- يَرْضَى» شوفوا هذا من فوائد المُدارَسَة في الكتب، الكتاب عندي وقد قرأته ما انتبهت، أقرأه على المحفوظ، الآن يُقرأ عليك، وهذا أقوى حجة لمالك -رضي الله عنه-، حيث ذهب إلى أن القراءةَ أرجح من السماع من لفظ الشيخ، كما هو مبحُوث عند المحدِّثين في كتب المُصطَلَح، قال: "والعِلة أن الشيخ يُخطِئ ولا يجرُؤ الطالِب أن يرُدَّ عليه"، علَّلوا ذلك، أما الطالب ويخطئ فيرُد عليه الشيخ، وهذا وجه ترجيح اختيار الإمام مالك -رضي الله عنه وأرضاه ورضي الله عنهم جميعًا- وقديمًا قيل: "إذا ذُكِرَ مالك في العلماء، فمالِكٌ النجم -رضي

الله عنه-".

المتن:

قال -رحمه الله تعالى-: فعلى رواية مسلم تكون الثلاثة المَرضِيَّة

الأولى: أن تعبُدوا الله.

والثانية: ألا تُشرِكُوا بِهِ شيئًا.

والثالثة: أن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولاتفرَّقُوا.

وعلى رواية مالك وأحمد تكون الأولى: أن تعبدوا الله ولا تُشرِكوا به شيئًا.

والثانية: أن تعتصِموا بحبل الله جميعًا ولا تفرَّقوا.

والثالثة: أن تناصِحُوا من ولَّاهُ الله أمرِكُم.

الشرح:

يعني ليس فيه: «وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» أن تعبدوا الله، الثانية: ألا تشركوا به شيئًا، أن تعتصِمُوا، بعد أن تعبدوا الله أن تعتصِمُوا، أن تُناصِحُوا، فتسقط عند مالك تسقط «وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا».

والشاهد في الروايتين موجود، على رواية مالك وعلى رواية مسلم، ألا وهو: الاعتصامُ بحبل الله جميعًا موجود، ولم يذكرمالك لفظة: «وَلا تَفَرَّقُوا» لأن الاعتصام مؤدَّاه ألا تتفرَّقوا، فالمعنى موجود.

المتن:

قال -رحمهُ اللهُ تعالى- قالَ الحافظ ابن عبد البرِّ في التمهيد على هذا الحديث وفيه: الحضُّ على الاعتصام والتمسُّك.

الشرح:

وهذا من أعظم الشروح لموطَّإ مالك، بل من أعظم الشروح لكتب السنة قاطبة، هذاالكتاب، كتاب الموطإ:

سمير فؤادي مذ ثلاثين حِجّةً ۞۞ وصَيْقَلُ ذهني والمفرِّج عن همّي

يقول: ابن عبد البر، منذ ثلاثين سنة، ثلاثين عام -معشرالأحبَّة- وهو يكتُب كتابًا، واليوم نحنُ في ثلاث سنوات نراها كثيرة على كتاب، والواحد يقرأ سنة واحِدة ويُرِيد أن يصبح مُؤلِّفًا، ويكتُب الرِّسالة، ولا يُرِيد أن يُناقش في خطإ فيها سبحان الله! شوف ثلاثين عامًا وهو مع التمهيد يكتُبُه ويُمهِّدُه ،سبحان الله! ما أعظم اهتمام هؤلاء! وما أجل احترامَهُم للعِلم! وانظر إلى الفرق بيننا وبينهم، يقول ابن عبد البر:

سمير فؤادي مذ ثلاثين حِجّةً ۞۞ وصَيْقَلُ ذهني والمفرِّج عن همّي

ثلاثين سنة وهو يسامِر هذا الكتاب حتى خرج -فرحمه الله تعالى-، وهذا الكتاب من دواوين الإسلام العظيمة، يقول الذهبي: **"من أدمن النظر في كتاب التمهيد لابن عبد البر، والكُبرى للبيهقي، والمُغني لابن قُدامة، فهو العالِم حقًّا"** عالم شوف ينظر فيمَ؟، في كتابٍ كبير عظيم سُنن البيهقي، ويأتي بعد ذلك ينظُر في كتابٍ عظيم للشُّرُوح، من أعظم كتب الشروح إلى ذلك الحين، ما قد جاء فتح الباري ولا أمثاله ممَّن تقدَّمهُ من شيوخِهِ ممن كتبُوا، ونظر في كتاب المُغني لابن قُدامة الذي جمع مذاهب الثلاثة، فقه مقارِن وأقوال جمعٍ كبيرمن التَّابعين وفُقهاء الأمصار ممن لم يصِلنا فِقههم، مالهم مذاهب، مدارِسَهُم اندثرت، ثم إدمان النظر في هذه الكتب

مع فهم، إدمان نظرمع فهم، يقول: "فهوالعالم حقًّا" لأنه يتقلَّب ما بين مُتُون حديثية، وشُرُوح حديث، وفِقه حديث، ومَعرِفة أقوال علماء الأمصار وأرباب المذاهب، كيف لا يكون عالِمًا؟ هذا هو الفقه، هذا هو الفقه كما قلنا:

العلمُ معرِفة الهُدَى بدليلِهِ ۞ ما ذاكَ والتقليد يستويانِ

رحمهم الله.

المتن:

قال -رحمه الله تعالى-: وحبل الله في هذا الموضع فيه قولان:

أحدهما: كتابُ الله.

والآخَر: الجماعة.

ولاجماعةَ إلا بإمام، وهو عندي معنىً مُتداخِلٌ مُتقارِب؛ لأن كتاب الله يأمُرُ بالألفة، وينهى عن التفرُّق، قال الله -عز وجل-: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ آل عمران: ١٠٥ الآية، وقال: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ آل عمران: ١٠٣ الآية.

ثم ساق الحافظ ابن عبد البر بعض الآثار في تفسيرقوله -تعالى-: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ ﴾ آل عمران: ١٠٣ الآية، ثم قال: الظاهرُ في حديثِ سُهيل هذا في قوله: "ويرضى لكم أن تعتصموا بحبل الله جميعًا، أنه أراد الجماعة، والله أعلم" وهوأشبه بسياقة الحديث.

وأما كتابُ الله، فقد أمر الله -عز وجل- بالتمسُّكِ والاعتصامِ به في غير ما آية، وغيرِ ما حديث، غير أن هذا الحديث المُرادَ به -والله أعلم- الجماعة على إمام يُسمعُ له ويُطاع، فيكونُ وليُّ من لا وليَّ له في النكاح، وتقديم القضاة للعقدِ على الأيتام، وسائرُ الأحكام، ويُقيمُ الأعياد والجُمُعات، وتُؤمَّنُ به السُّبُل، ويَنتَصِفُ به المظلوم، ويُجاهِدُ عن الأمة عدوَّها، ويُقسِّمُ بينها فيئَها؛ لأن الاختلاف

والفُرقة هَلَكة، والجماعة نجاة.

قال ابن المبارك -رحمه الله-:

إن الجماعةَ حبلُ اللهِ فاعتصِمُوا ** منهُ بِعُروتِهِ الوُثقى لِمَن دانَ

كم يَرفَعُ اللهُ بالسلطان مَظلَمةً ** في ديننا رحمةً منه ودُنيانا

الشرح:

هكذا أثبتها بالرَّاء، والذي أحفظه بالدَّال، وعلى كل حال، كله من حيث الوزن قائم، ومن حيثُ المعنى الدَّال أعظم؛ لأن الدَّفع مُقدَّمٌ على الرَّفع، وهو صريحُ الآية ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ البقرة: ٢٥١

قال الطرطوشي -رحمه الله- وهو من كبار عُلماء المالكية في كتابه العظيم «سراج الملوك»: "ولولامن يُقيمُه الله من السلطان، فيدفعُ الظالم عن المظلوم، والضعيف عن القوي" يعني لئلا يغتَالهُ ﴿لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ البقرة: ٢٥١، فالظاهر أن الدَّفعَ هو الأصح، فإن الدَّفعَ لفظ القرآن: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ﴾ البقرة: ٢٥١، وهذه قد تكون رواية وجدها في بعض الطُّرُق، أنا لا أحفظُ إلا بالدفع، والأمرُ سهل على كل حال رفعٌ أو دفع، لكن الدفع أولى، الدَّفع للأمر قبل وقوعِهِ أحسنُ من رفعِهِ بعد وقُوعِهِ، أليس كذلك؟

فالدفع التعبير به أبلغ، فهذا الذي أحفظه من الصغر "كم يدفعُ الله بالسُّلطان مُعضِلة" فهذا الذي أراه وهوالأحسن، وهوالموافق لسياق الآية.

المتن:

قال ابن المبارك -رحمه الله-:

إن الجماعةَ حبل الله فاعتصِمُوا ** منه بعروتِهِ الوُثقى لِمن دَانَ

كم يدفعُ اللهُ بالسُّلطانِ مَظلَمةً ** في ديننا رحمةً منه ودُنيانا

لولا الخلافةَ لم تُؤمن لنا سُبُلٌ ** وكانَ أضعفُنا نهبًا لأقوَانا

الشرح:

لولا الخلافةَ لم تُؤمن لنا سُبُلٌ ۞۞ وكانَ أضعفُنا نهبًا لأقوَانا

هذا الذي ساقه المصنِّف -رحمه الله- من الحديث الأول، حديث أبي هريرة، وهو مرويٌّ من طريق سهيل بن أبي صالحٍ، وقد ذكره عند مسلمٍ، وذكرهُ على رواية مالكٍ، وفيهِ: «وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا»، وعند مالك بدون هذهِ اللفظة -رحمه الله-، ساق بعد ذلك تفسيرها من كلامِ ابن عبد البر، حيثُ ذكر فيه:

أوَّلًا: أن هذا الحديث فيه الحض على الاعتصام والتمسُّك بحبل الله حال الاجتماع ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ آل عمران: ١٠٣، يعني حال كونكم مُجتمِعين.

ثم نَقَلَ إلى المعنى الثاني الذي يُريد وهو: أن هذا اللفظ ﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ اختُلِف فيه، فجاء بكلامٍ لابن عبد البر مثل مُلخَّص ماسبق عن شيخِ الإسلام ابن تيمية: **"أنَّ حبل الله فُسِّر بكتابِ الله، وفُسِّر بالجماعة، ولاجماعة إلا بإمام"**، فزادنا أنَّه لا جماعة إلا بإمام، وهذا قول عمر -رضي الله عنه وأرضاه-: **"لا إسلام إلا بجماعة، ولاجماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بسمع وطاعة"**، فزادنا ابن عبدالبر هذهِ الجملة الجميلة، القوم هل يجتمعون بدون رأس؟ من حال الجاهلية هذا معروف.

لا يَصلُحُ الناسُ فوضى لا سَرَاة لهم

بفتحِ السين، فالسَّرَاة هم السَّادة، قال -جل وعلا-: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ مريم: ٢٤، ليس ببغي أنتِ، وليس هو بولد زنا فتستحيي منه، وإنما هو سيدٌ، فالسَّراة: هم السَّادة، والسُّرَاة: هم المُشاة في الليل، ضمٌّ وفتح بينهما ما بينَ المشرِقِ والمغرب.

لا يصلُحُ الناسُ فوضى لا سَراةَ لهم ۞ ولا سَراة إذا جُهَّالُهُم سادُوا

هل يصلُح أن يقود الناس الجاهل؟ ما يصلُح، وهل ينتظِم أمر الناس بلا رأس يجتمعون عليه؟حتى القبيلة في أيام القبائل الجاهلية، إذا لم يكُن لهم سيدٌ يجتمِعُون عليه، يدفعُون به الاعتداء، ويعتدُون هم به على غيرهم، يسوقوهم في غزوِهِم، ما استقام لهُمُ الأمر، فإذًا لابد من الإمام، فأفادنا ابن عبد البر -رحمه الله- هذهِ الجملة الجميلة، وهي المأخوذة من كلام عمر -رضي الله عنه- قال: **"وهو عندي معنى مُتداخِل مُتقارِب"**، هذا من كلام شيخ الإسلام، ولعلَّ شيخَ الإسلام استقاهُ من ابن عبد البر وأمثاله من الأئمة؛ لأنهم أسبق، قال: **"لأن كتاب الله يأمرُ بالألفة، وينهى عن التفرُّق"**، وذكر الآية ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟﴾ آل عمران: ١٠٥، ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ آل عمران: ١٠٣.

ثم قال -رحمه الله-: الظاهر في حديث سهيل بن أبي صالح هذا حديثُه عن أبي هريرة المروي في مُسلِم، وعند مالِك من طريق سهيل بن أبي صالح، قال: **"الظاهر فيه أن قوله -صلى الله عليه وسلم- ويرضى لكم أن تعتصموا بحبل الله، أن هذا الموضع "حبلُ الله" المراد به-والله أعلم- المراد به الجماعة"**، لم؟ يقول: لأن باب التمسك بالقرآن قد سبق في غير هذا، لكن الكلام يقول: الذي يظهر أن المراد بأن تعتصِموا بحبلِ الله، والله أعلم هنا هو الجماعة؛ لأنه أشبه بسياقة

الحديث.

ما هي سياقة الحديث التي استنبط منها؟ «إِنَّ اللهَ-تعالى- يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالَ»، فقوله -صلى الله عليه وسلم-: «وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا» المراد به الاجتماع على السلطان؛ لأن الاجتماع هو ضد التفرُّق، فالمُراد بهِ -رحمه الله تعالى- يُرجِّح أنَّ المُراد بالسياق هنا أن المراد به الجماعة.

المتن:

قال -رحمهُ الله تعالى-: الدليل الثاني:

الشرح:

وأما الجماعة، يقول الجماعة على إمامٍ، أعِد علينا آخر الصفحة.

المتن:

قال -رحمه الله تعالى-: الجماعةُ على إمامٍ يُسمع لهُ ويُطاع فيكون وليَّ من لا ولي له في النكاح.

الشرح:

نعم، يجتمعون على هذا الإمام، فيسمعون له ويُطيعون، فيكون وليَّ من لا وليَّ لها في النكاح؛ المرأة، الرجل ما يُطلب لهُ وليٌّ، من لا ولي لهُ يعني المُراد بهِ جنس المعقودعليه في النكاح، ويجوز أن يُذكَّر إذا كانَ مُبهمًا.

المتن:

وتقديم القضاة للعقد على الأيتام.

الشرح:

يَنصب القضاة في هذه المسألة اليتيمة والمنقطعة، يتولَّى أمرها بالنيابة عن السلطان القاضي، فينصب القضاة، هل يكون هذا في حال الخوف أو الأمن؟ في حال الأمن، وجود السلطان؛ لأنهُ هو الذي يُرتب هذه الولايات.

المتن:

وسائِر الأحكام.

الشرح:

وسائر الأحكام، بقية الأحكام؛ تنفيذ الحدود، تقرير الصحيح، ونفي الفاسد من البيوع، ما يتعلَّق بذلك كلِّهُ، هذا يقوم بُتنفيذه السُلطان، إذا لم يكن سُلطان وجدت الغشَّ، خَربت الأسواق، وشحت الأرزاق، وحيئنذٍ يتعرض الناس للهلاك، وهكذا.

المتن:

ويُقيم الأعياد والجُمُعات.

الشرح:

يُقيم الأعياد يُحدِّد لهم يوم عيدِهم، وقت فِطرِهم، يُحدِّد لهم أن هذا اليوم هو يوم عيدِ الأضحى، فإن الحج بمكة يوم كذا، ونحنُ مع الناس مُعيِّدون، وهكذا، يُبيِّن لهم، فلا يُعيِّد هؤلاء وهؤلاء قد يكونون أقرب ما يكونُ إليهم ما بينهم إلى ستين كيلو والمطلع واحد، مُعاندةً

بين القبيلتين أو القريتين هؤلاء يُعيِّدون اليوم وهؤلاء يعيدون غدًا، شهوةً، لكن السُلطان لا، يجمعهم على الحقِّ والهدى.

المتن:

وتُؤمِّنُ بهِ السُّبُل.

الشرح:

نعم، وتُقام بهِ الجُمُعات؛ لأنَّ الجُمعات تحتاج إلى أمن، أما في حال الخوف ما فيه، ما في إلا صلاة خوف، في حال الخوف الناس يصلون صلاة الخوف، أما الجُمُعات والأعياد فإنَّ الناس يجتمعون في مثلِ هذا، وأنتم ترون في بعض البلدان، يأتُون إليهم في المسجد يوم الجمعة فيدخل من يسمونهُ انتحاري من هؤلاء الشياطين، شياطين الإنس ويدخل في المسجد فيهِ ألف مُصلي ويُفجره عن بكرة أبيه، إذا لم يكن أمن سيُصلي الناس؟ يجتمعون هنا؟ فضلًا عن العيد الذي فيهِ الألوف المؤلفة، إذًا الإمام يُقيم هذه الأعياد، طيب إذا ما في إمام، وما في هؤلاء في الزمن الغابر، هل يستطيع الناس يُصلُّون والقبيلة الأُخرى تغزوهم؟

إنّ قُرَيْشًا أَحْلَفَتْكَ المَوْعِدَا ۞۞ وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ المُؤَكَّدَا

وَجَعَلُوا لِي فِي كُدَاءٍ رُصَّدَا ۞۞ وَبَيَّتُونَا بِالوَتِيرِ هُجَّدَا

قَتَلُونَا رُكَّعًا وَسُجَّدَا ۞۞

قالَ قد نُصرت يا عَمرو بن سالم، فجهز الجيش -صلى الله عليه وسلم- وغزى قُريشا، فهؤلاء الأئمة يُؤمِّنون اجتماعات الناس في صلواتهم، وإلا يقتلونك وأنتَ تُصلِّي صلاة التراويح، تتهجد، تُصلِّي صلاة العيد جِهارًا نهارًا، الجُمعة والشمس في كبد السماء.

فإذًا لابُدَّ من السُّلطان يُؤمَّنُ بهِ الجُمَع والجُمُعات والأعياد، تقوم هذه العبادات فبوجوده يمتنُّ الله علينا بأداء هذه الشعائر، وبعدمهِ وباختلال الأمن بسبب عدم وجوده، تضيع هذه الشعائر التي جاء بها الإسلام، إذًا فالأئمة، والسلاطين، والملوك، والحكَّام رحمة من الله لنا في ديننا وفي دُنيانا، تنتظِم أُمُور المعاش وتقوم سوق المعاد إلى الله في الدار الآخرة، نعبُدُ الله على اطمئنان، قال -جلَّ وعلا-: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤﴾ قريش: ١ – ٤، ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا﴾ القصص: ٥٧ الآية:

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ﴾ العنكبوت: ٦٧، فلابُدَّ من الأمن لتقومَ العبادات، ويستقيمَ أمرُ الإيمان، فكان الحُكَّام، الوُلَاة، السلاطين، الخُلفاء، المُلوك، الأُمراء سمِّهم ما شئت رحمة من الله علينا -معاشرالمسلمين- في ديننا ودنيانا، فمنصِبُهم شريف، ومقامهم مُنيف ولا يُهينُهُم أو يتجاسَر على إهانتِهم إلا من سفه نفسه.

المتن:

وتؤمَّنُ به السُّبُل.

الشرح:

نعم، تُؤمَّنُ به السبل، صحيح إذا لم تَأمَن السُّبُل ماحُجَّ بيت الله -جلَّ وعلا- ولم تقُم سوق؛ لأن التجارات تُقطع طُرُقها، ولا تَزاوَرَ الناس فيما بينهم؛ لأن الطُّرُق مخُوفة، فحينئذٍ لابد من نصب هؤلاء السلاطين، فهذه من مآثرهم الجميلة، وأعمالهم الجليلة، وفقهم الله وغفر لمن

مات من سلاطين المسلمين.

المتن:

وينتصِفُ بهم المظلوم.

الشرح:

نعم، ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ البقرة: ٢٥١ يدفعُ الله القوي عن الضعيف فلا يظلِمه، ويدفعُ الضعيف عن القوي، هوضعيف كيف يدفعه عن القوي؟ لا يغتاله، لئلا يغتاله، يعلمُ أنه لا قِبَل له بهذا القوي، فلا يستطيع مواجهتَه، فلا يُمكِن أني آخُذ حقَّه إلا بالغيلة، يترصَّد له مثلًا وهو خارج لصلاة الفجر فيقتُلُه فيأخُذ حقَّه منه بزعمِه، فإذًا يدفعُ الله الظالم القوي عن الضعيف لا يظلِمه، فيُقطع السبب من أوَّلِه، فإن ظلمه دفع الله أيضًا عن الظالم، دفع هذا المظلوم الضعيف، فلا ينصِب له حبائل الغيلة، فيقتله غيلةً، ما أحد يرضى بنفسه ولو استحقرته:

لا تحقرن صغيرًا في مُخاصمةٍ ** إن البعوضة تدمي مقلة الأسد

البعوضة تُدمي مقلة الأسد، فلا تحقِرنَّه أيُّها الإنسان، تقول:وإيش يقدِّره في فلان، هذا فلان بخدمه، وحشمه، وسُوقه ما الذي سيفعله فيه؟ عينُ الظلوم تنام، وعين المظلوم لا تنام حتى يُدرِك ثأره، ولوكان ضعيفًا فأنت لاتحقِرن ضعيفًا أبدًا.

لا تحقرن صغيرًا في مُخاصمةٍ ** إن البعوضة تدمي مقلة الأسد

أسد، كل الحيوانات والناس على قوَّتِهم وأسلحتهم يرهبونه، لكن هذه البعوضة تأتي في

عينه، وتأخذ حقَّها، نصيبها وتمشي، تغزُّه في عينه، فهكذا الضعيف إذا ظُلم يأخُذ حقَّه من القوي فيغزُّهُ في مقتل، فلولا أن الله يدفع هذا، فلا يظلِم من الأصل، أو يدفع هذا إذا ظلم ذاك، فلا يغتاله ويأخذ له هو حقه، ﴿لَفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾

المتن:

ويُجاهِدُ عن الأمَّةِ عدُوَّها.

الشرح:

نعم، لأن الجهاد لا يقوم إلا بالأئمة، لا يقوم الجهاد إلا بهم، هذه المسألة معروفة، إلا في حالٍ واحدة استثناها العلماء، وهي حال الدفع، حال الاضطرار، إذا هُجم بنا نحنُ في بلدةٍ ما، هجم بنا العدو، والسُّلطان بعيد عنا نحنُ تحت ولايته، بعيد عنا ما عندنا أمير نائب عنه، ماذا نعمل؟

ندفع عن أنفسنا، بل ذكر أهلُ العلم أن الأحسن هنا أن ننصِبَ لنا نحن أميرًا، نسمعُ له ونُطيع ونُجَاهِد خلفه؛لأن الكلمة عليه تجتمع، ويُنظم صفوف المقاتلين، وهذا حق، أما إذا حاربنا مُبعثرين، فإن العدو ينالنا في لحظة، يأكلنا، فشوف حتى مع هذا يُنصَب أمير في جهاد الدفع، هذا هو الأحسن؛ لأنه يَجمع الناس، يأخذهم بسياسته، وتكون الغلبة لهم بإذن الله -تبارك وتعالى-، فلابد.

فأمر الجهاد عائد إلى الأئِمة، ما هو كل واحد يدعو إليه، هذا الباب باب خطير جدًا، ولما فُتِح على مصراعيه-وسيأتينا إن شاء الله- لما فتح على مصراعيه رأيتم جماعة فلان، وجماعة فلان، وجماعة فلان، كُلُّهم لايسْوون شيئًا.

المتن:

ويُقسِّم بينها فيئها.

الشرح:

ويُقسِّمُ بينها فيئها، الإمام يقسِم الفيء بغَضَبٍ من غضِب، وبِرِضى من رضِي، لا أحد يستطيع أن يَتطَاولَ عليه، لكن إذا مافيه إمام!، وجاء هذا وقال: لا ما في قسمة فيء، أنتم ما قاتلتم معنا، وهم معه، والأسلحة معه، والعِصابة القوِية بجانِبِه، من يأخُذُ لهم حقَّهم؟! مع أنهم غزوْا أو قاتلوا ،فسبحان الله!

إذًا الإمام في تنفيذ هذا، وفي تنفيذ الأحكام، يَقتُل القاتل وأولياؤه أحياء يَروْن، ورُبَّما شهِدَ بعضهم تنفيذَ القصاص، لايستطيعون أن يَتَطاولوا على هيبةِ السُّلطان، فيأمن الناس، بدون السلطان نقتُلُ من قَتَل أَبانا اليوم، وغدًا يأخذُون الابن الأول به في القبيلة، ترُد هذه القبيلة فتأخذ ابن القبيلة الثانية، وهكذا لا يُوقِفُهُم أحد، السُّلطان لهُ حد، يُنفِّذ الحُكم ولا يُتَجرَّأُ على مقامه، فيَضرِبُ الأمن بعضد حينئذ، فتنفيذ الحدود إليهم، جهاد العدو إليهم، قسم الفيء إليهم، وهذه بعضُ محاسِنِهم وأعمالِهم الجليلة، جزاهم الله عنا وعن الإسلام خيرالجزاء.

المتن:

لأنَّ الاختلاف والفُرقة هَلَكة والجماعة نجاة.

قال ابن المبارك-رحمه الله-:

إن الجماعةَ حبل الله فاعتصِمُوا ** **منه بعروتِهِ الوُثقى لِمن دَانَ

كم يدفعُ اللهُ بالسُّلطانِ مَظلَمةً ** **في ديننا رحمةً منه ودُنيانا

لولا الخلافةَ لم تُؤمن لنا سُبُلٌ ** وكانَ أضعفُنا نهبًا لأقوَانا

الشرح:

لمْ تأْمَن لنا سُبلٌ، سُبُل فاعِل تأْمَن.

المتن:

لولا الخلافةَ لم تأْمَنْ لنا سُبُلٌ ** وكانَ أضعفُنا نهبًا لأقوَانا

الدليل الثاني: روى الإمام أحمد في المسند، عن زيد بن ثابت -رضي الله تعالى عنه- قال: سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يقول: «نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، ثَلَاثُ خِصَالٍ لَا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ أَبَدًا: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلهِ-عَزَّ وَجَلَّ-، وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الْأَمْرِ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مَنْ وَرَائَهُمْ» الحديث.

وأخرجَ الإمامُ أحمد في المسندِ أيضًا، من حديث ابن إسحاق عن الزُّهري، عن مُحمد بن جُبير بن مُطعِم، عن أبيه قال: قام رسول الله.....

الشرح:

رضي الله عنه، المُطعم بن عدي، عن جبير بن مطعم، عن محمد بن جُبير بن مُطعِم بن عدي، فهذه الرواية عن جبير بن مُطعِم -رضي الله عنه-، ابن المُطعم بن عدي، ابن عم النبي -صلى الله عليه وسلم-، من بني عديٍ بن عبد مناف، ومحمد -صلى الله عليه وسلم- من بني هاشم بن عبدِ مناف، وعثمان من بني عبد شمس بن عبدِ مناف.

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا ۞۞ عقوبة شر عاجلا غير آجل

ومطعم بن عدي

أُمطعمُ لم أخذُلك في يوم نجدةٍ ۞۞ ولا مُعظِمٍ عند الأمُور الجلائِل

أُمطعم إن القوم سائوك خُطَّةً ۞۞ وإني متى أُوكَلْ فلست بوائل

هذا هو المطعم بن عدي، جد محمد بن جبير بن مطعم، ابن عم النبي -صلى الله عليه وسلم-، ابن عمه نازِلًا، يجتمعُ معه في عدي بن عبد مناف، وعبد شمس بن عبد مناف جد مُعاوية وجد عُثمان، وعدي بن عبد مناف جد محمد بن جبير بن مطعم بن عدي، وهاشم جدُّ النبي -صلى الله عليه وسلم- والمُطَّلِب هذا أيضًاجدُّ بني المُطَّلِب الذين لم يفارقوا بني هاشم في جاهلية ولا إسلام، فهؤلاء هم الأربعة أبناءُ عبد مناف، نعم محمد بن جُبير بن مُطعِم بن عدي، جُبير بن مُطعِم هو الذي وقَرَ الإسلام في قلبه، أو الإيمان في قلبه في سورة الطور، فهذا ابنه محمد بن جبيرعن أبيه -رضي الله عنه- جُبير بن مُطعِم

المتن:

عن محمد بن جُبير بن مُطعِم عن أبيه قال: قام رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بالخير من منى، فقال: «رَحِمَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا ، ثُمَّ أَدَّاهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَا فِقْهَ لَهُ ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ : إِخْلَاصُ الْعَمَلِ ، وَمُنَاصَحَةُ ذَوِي الْأَمْرِ» وفي لفظ طاعةُ ذوي الأمر «وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تَكُونُ مِنْ وَرَائِهِمْ».

الشرح:

هذا الحديث سيتطرَّق إليه الشيخ -رحمه الله- في تفسيره لألفاظه، ولعلنا نؤخِّرُه؛ لأن المغرب قد قرُب، فالإخوة يذكرونني أنه بقي على الأذان أقل من ربع ساعة، فلعلنا -إن شاءالله

تعالى- إن متَّعنا الله وإياكم في الحياة، نُواصِلُ فيه في لقائنا الثاني، والله أعلم.

وصلى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net

وجزاكم الله خيرا.